

تفسير ابن كثير

يقول تعالى : { ومن آياته } الدالة على عظمته وقدرته العظيمة وسلطانه القاهر { خلق السموات والأرض وما بث فيهما } أي ذرأ فيهما في السموات والأرض { من دابة } وهذا يشمل الملائكة والإنس والجن وسائر الحيوانات على اختلاف أشكالهم وألوانهم ولغاتهم وطباعهم وأجناسهم وأنواعهم وقد فرقهم في أرجاء أقطار السموات والأرض { وهو } مع هذا كله { على جمعهم إذا يشاء قدير } أي يوم القيامة يجمع الأولين والآخرين وسائر الخلائق في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر فيحكم فيهم بحكمه العدل الحق .

وقوله D : { وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم } أي مهما أصابكم أيها الناس من المصائب فإنما هي عن سيئات تقدمت لكم { ويعفو عن كثير } أي من السيئات فلا يجازيكم عليها بل يعفو عنها { ولو يؤاخذ الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة } وفي الحديث الصحيح [والذي نفسي بيده ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن إلا كفر] عنه بها من خطاياهم حتى الشوكة يشاكها [وقال ابن جرير : حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علي حدثنا أيوب قال : قرأت في كتاب أبي قلابة قال نزلت { فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * } ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره { وأبو بكر B يأكل فأمسك وقال : يا رسول الله] إنني أرى ما عملت من خير وشر فقال : [أرأيت ما رأيت مما تكره فهو من مثاقيل ذر الشر وتدخر مثاقيل الخير حتى تعطاه يوم القيامة] وقال : قال أبو إدريس : فإنني أرى مصداقها في كتاب الله تعالى : { وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير } ثم رواه من وجه آخر عن أبي قلابة عن أنس B قال والأول أصح .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا محمد بن عيسى بن الطباع حدثنا مروان بن معاوية الفزاري حدثنا الأزهر بن راشد الكاهلي عن الخضر بن القواس البجلي عن أبي سخيطة عن علي : قال مٌوسلا عليه صلى الله عليه وسلم به وحدثنا D [كتاب في آية بأفضل أخبركم ألا : قال B] وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وسأفسرها لك يا علي : ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فيما كسبت أيديكم والله تعالى أحلم من أن يثني عليه العقوبة في الآخرة وما عفا الله عنه في الدنيا فإني تعالى أكرم من أن يعود بعد عفوهِ [وكذا رواه الإمام أحمد عن مروان بن معاوية وعبيدة عن أبي سخيطة قال : قال علي B فذكر نحوه مرفوعاً .

ثم روى ابن أبي حاتم نحوه من وجه آخر موقوفاً فقال : حدثنا أبي حدثنا منصور بن أبي مزاحم حدثنا أبو سعيد بن أبي الوضاح عن أبي الحسن عن أبي جحيفة قال دخلت على علي بن

أبي طالب B فقال : ألا أحدثكم بحديث ينبغي لكل مؤمن أن يعيه ؟ قال : فسألناه فتلا هذه الآية { وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير } قال ما عاقب الله تعالى به في الدنيا فإني أحلم من أن يثني عليه بالعقوبة يوم القيامة وما عفا الله عنه في الدنيا فإني أكرم من أن يعود عفوه يوم القيامة وقال الإمام أحمد : حدثنا يعلى بن عبيد حدثنا طلحة يعني ابن يحيى عن أبي بردة عن معاوية هو ابن أبي سفيان B قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : [ما من شيء يصيب المؤمن في جسده يؤذيه إلا كفر الله تعالى عنه به من سيئاته] وقال الإمام أحمد أيضا : حدثنا حسين عن زائدة عن ليث عن مجاهد عن عائشة B قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [إذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له ما يكفرها ابتلاه الله تعالى بالحزن ليكفرها] .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عمرو بن عبد الله الأودي حدثنا أبو أسامة عن إسماعيل بن مسلم عن الحسن هو البصري قال في قوله تبارك وتعالى : { وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير } قال لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [والذي نفس محمد بيده ما من خدش عود ولا اختلاج عرق ولا عثرة قدم إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر] وقال أيضا : حدثنا أبي حدثنا عمر بن علي حدثنا هشيم عن منصور عن الحسن عن عمران بن حصين B قال : دخل عليه بعض أصحابه وقد كان ابتلي في جسده فقال له بعضهم إنا لنبأس لك لما نرى فيك قال فلا تبتئس بما ترى فإن ما ترى بذنب وما يعفو الله عنه أكثر ثم تلا هذه الآية { وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير } .

وحدثنا أبي حدثنا يحيى بن الحميد الحماني حدثنا جرير عن أبي البلاد قال : قلت للعلاء بن بدر { وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم } وقد ذهب بصري وأنا غلام ؟ قال فبذنوب والديك وحدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا وكيع عن عبد العزيز بن أبي داود عن الضحاك قال : ما نعلم أحدا حفظ القرآن ثم نسيه إلا بذنب ثم قرأ الضحاك { وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير } ثم يقول الضحاك : وأي مصيبة أعظم من نسيان القرآن